دراسة تاريخية تحليلية عن وثيقة المدينة(صحيفة المدينة)

م.د. رغد جمال مناف

جامعة بغداد/ مركز احياء التراث العلمي العربي

ملخص البحث

تعد وثيقة او الصحيفة او دستور المدينة من اهم الحوادث في التاريخ الاسلامي لانها شكلت منعطفا هاما لبناء دولة جديدة بقيادة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) عندما هاجر اليها لتنظيم العلاقة بين فئات المجتمع في المدينة بين مهاجرين وانصار وعرب مشركين ويهود ، فهي بذلك تمثل اول دستور مدنى فى التاريخ شملت جوانب ونقاطا عديدة منها تحالف المسلمين بعضهم مع بعض والتزاماتهم من مهاجرين وانصار وحقوقهم وواجباتهم ، ومن احدى فقراتها معاهدة الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) مع اليهود لمعرفة ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات والتزامات.

شملت الوثيقة النبوية او دستور المدينة جملة من البنود القانونية والحقوقية لتنظيم جميع جوانب حياة الافراد في يثرب ، ومنها توضيح علاقة الراعي برعيته، والقاضي وآدابه لتحقيق المساواة والعدالة والامان والتعاون بين الناس بمختلف الطوائف والطبقات الاجتماعية وعدم المساس بعقائدها وديانتها ، كما فصل فيها مبدا الشورى بين الحاكم والمحكومين والراعي ورعيته، وتنظيم العلاقات بين مختلف مكونات مجتمع المدينة بكل فئاته، فردا وجماعة وحاكما وفق مبادى القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ، لضمان التكافل بين جميع افراد الامة في مختلف الميادين ، لبناء دولة اسلامية صحيحة تعيش تحت ظلالها جميع الملل والطوائف المختلفة ومن هذه المبادى الانسانية نصرة المظلوم وحماية الجار ومساعدة المدين ورعاية الحقوق الخاصة والعامة وغيرها من الامور الانسانية الاخرى ، فالصحيفة او الوثيقة تم بموجبها تنظيم العلاقات في هذا المجتمع الإسلامي الجديد سواء بين مكوناته او من انضوى تحت لواءه وخاصة من كان بالمدينة من اليهود، كما وضعت الصحيفة المبادئ الاساسية لهذا المجتمع الجديد باعتبار المسلمين امة واحدة بعضهم اولياء بعض يتعاونون بينهم ويتحابون ويتراحمون تاركين النعرات

القبلية وحمية الجاهلية لا فرق بين اسود وابيض ولا بين عربي وعجمي الا بالتقوى، كما بينت (الصحيفة) حقيقة الحرية لكل شخص بعيدا عن التعصب حتى ولو مع اليهود الذين اعطت لهم حقوقهم كاملة كحق الجوار ما التزموا ببنود الصحيفة.

فالهدف واضح من وضعها وهو بناء مجتمع اسلامي سلمي مبني على اساس سليم يستند في احكامه الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ، واحتواء ابناء هذه المدينة وتوفير الامان والسعادة والخير لهم تحت ظلال حكومة عادلة بغض النظر عن الدين او العرق او المذهب ، اساسها التسامح والتعاون والمحبة والانسانية بين ابناء المجتمع المدني بكل فئاته المختلفة.

Research Summary

Prepare a document or the newspaper or the Constitution of the city of the most important events in Islamic history because it formed an important turning point for the construction of a new state led by the Prophet Muhammad (peace be upon him) when he migrated to regulate the relationship between the community groups in the city between the migrants and supporters and the Arab polytheists and Jews, they do represent a first civil constitution in history included aspects of several points, including a coalition of Muslims with each other and obligations of immigrants and supporters, rights, duties, and one of the paragraphs of the Prophet Muhammad Treaty (Allah bless him and his family) with the Jews to know what their rights and their duties and obligations. Included document prophetic or the Constitution of the city a number of legal and human rights items to regulate all aspects of people's lives in Yathrib, and to clarify the shepherd his own subjects, and the judge relationship and etiquette to achieve equality and justice, safety and cooperation between people of different denominations and social classes and not compromising their tenets and religions, as the separation of the principle of consultation between the ruling and the governed and the shepherd and his flock, and the regulation of relations between the various components of the city community of all classes, individual and group, and the governor in accordance with the Principles of the Koran and the Sunnah, to ensure solidarity among all members of the nation in various fields, to build a true Islamic state living under the shadows of

all the boredom and the various sects and this humanitarian guideline principles defending the oppressed and the protection of neighbor and help the debtor and care for the rights of private and public and other other humanitarian things, dailies or the document was under regulation of relations in this new Islamic society, whether between components or later within his brigade and a private who was the city's Jews, also placed the paper the basic principles of this society new as the Muslim nation and one of them parents of some collaborators including Athabon and Atrahmon leaving strife and tribal diet ignorance is no difference between black and white is not between Arab and Ajami only piety, as shown (newspaper) the fact that freedom for all people away from fanaticism even with the Jews who gave them their full rights right neighborhood is committed to the terms of the newspaper. The aim is clear from the set of building Islamist peaceful society built on a sound foundation based in its provisions to the Book of Allah and the Sunnah of the holy, and to contain the people of this city and to provide safety and happiness and goodness to them under the shade of a just government, regardless of religion, race, creed, based on tolerance, cooperation and love and humanity among the sons of civil society in all the different categories.

١-لمحة عن مجتمع المدينة:

تعد المدينة المنورة (يثرب) مزيجا انسانيا متنوعا من حيث الدين والعقيدة والانتماء القبلي والعشائري، ونمط المعيشة، فهم مزيج خليط بين المهاجرون كالاوس والخزرج والوثنيون من الاوس والخزرج واليهود من الاوس والخزرج، ووجود قبائل اليهود الثلاثة بنو قينقاع وبنو النظير وبنو قريضة والاعراب والموالي والعبيد والاحلاف، وموارد رزقهم متنوعة بين العمل في التجارة والزراعة والصناعة والرعي والصيد والاحتطاب، ولكل عشيرة منهم زعامة قائمة على رعاية شؤونها، وضمان عيشها وامنها، وعلى اثر ذلك اسس النبي الاكرم (صلى الله عليه وسلم) نظام عام ودستور شامل وهي وثيقة المدينة التي وضع اسسها ومبادئها ليتيح للجميع العيش تحت سقف العدالة الاجتماعية لكل الطوائف المختلفة.[١]

فكان اول عمل سنه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في المدينة المنورة لتنظيم الحياة بكل مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون التجاوز او التعدي على حقوق الغير هي قبل اصدار وثيقة المدينة :

ا-بناء المسجد:

من اهم الخطوات التي اعتمدها الرسول الاكرم لتكوين مجتمع اسلامي سليم ، بناء مسجدا للمسلمين يقصده الجميع ، وهو ايضا بيت الله تعالى وبيت الجميع ، فيلتقي فيه الافراد للمشاورة والعبادة والقضاء والتجارة، ويتعلمون من الرسول مبادى الدين ونظم المجتمع الجديد، كما يكون مكانا للالتقاء النفوس والعقليات ، وتقوى الوحدة وتتالف الارواح وتزول الفوارق الطبقية بينهم وتتالف قلوبهم على المحبة والعطاء والاحساس بالاخر مهما كان جنسه او عرقه او لونه، ونلحظ ان الرسول الاكرم ذا فكر ثاقب وروية للمستقبل يطمح من خلال عمله هذا التقاء جميع الطوائف ولاسيما المسلمين مع بعضهم، فهو جمعهم بمكان واحد ، وجعل قلوبهم متالفة متحابة ليخلق مجتمعا سلميا متحابا ، لافرق بين غني او فقير اودين او عرق ، لانهم جميعا يومنون بالله تعالى وبالرسول ، وبالتالي سوف تنصب جهودهم لانجاح المجتمع المدني.[٢]

ب- وثيقة المدينة :

تعد وثيقة او الصحيفة او دستور المدينة حسب المسميات التاريخية لها ، من اهم الحوادث في التاريخ الاسلامي لانها تشكل منعطفا اساسيا لبناء دولة جديدة بقيادة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرتها اليها لتنظيم العلاقة بين فئات المجتمع في المدينة بين مهاجرين وانصار وعرب مشركين ويهود وهي تمثل اول دستور مدنى فى التاريخ فهي تشمل تحالف المسلمين بعضهم مع بعض والتزاماتهم من مهاجرين وانصار وحقوقهم وواجباتهم ، ومن احدى فقراتها معاهدة الرسول الاكرم مع اليهود، اورد ابن اسحاق نص الوثيقة جاء في نص كتابه: " بسم الله الرحمن الرحيم: ١-هذا كتاب من محمَّد النبي (صلى الله عليه وسلم) بيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ.
٢-إنّهُمْ أُمّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النّاسِ.

٣- الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ.

٤-وَبَنُو عَوْف عَلَى رِبْعَتِهِمْ [٣] يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، كُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٥-وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا (الاسير) بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٦- وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٧- وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٨- وَبَنُو النّجّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٩- وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.[٤]

١٠- وَبَنُو النّبِيتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١١- وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١٢-وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا[٥] بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ[٦].

١٣- وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ.

١٤- وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ[٧] ظُلْمٍ أَوْ إثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ.

١٥-وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ.

١٦- وَإِنّ ذِمّةَ اللّهِ وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ.

١٧- وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ دُونَ النّاسِ.

١٨- وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ.

١٩-وَإِنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ إِلّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ.

٢٠- وَإِنّ كُلّ غَازِيَةٍ[٨] غَزَتْ مَعَنَا يُعْقِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

٢١- وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ[٩] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ.

٢٢- وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ.

٢٣- وَإِنّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسَهَا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ.

٢٤- وَإِنّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا[١٠] قَتْلًا عَنْ بَيّنَةٍ فَإِنّهُ قَوَدٌ[١١] بِهِ إِلّا أَنْ يَرْضَى وَلِيّ الْمَقْتُولِ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافّةٌ وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إِلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ.

٢٥- وَإِنّهُ لَا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا[١٢] وَلَا يُؤْوِيهِ وَأَنّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.

٢٦- وَإِنّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ.

٢٧-وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

٢٨- وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ[١٣] إِلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

٢٩- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف.

٣٠-وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣١- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣٢- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣٣-وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف.

٣٤- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إِلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.[١٤]

٣٥- وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

٣٦-وَإِنّ لِبَنِي الشّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

٣٧- وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

٣٨-وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ.

٣٩- وَإِنّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلّا بِإِذْنِ مُحَمّدٍ.

٤٠-وَإِنّهُ لَا يُنْحَجَزُ عَلَى ثَأْرٍ جُرْحٌ وَإِنّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَبَرّ هَذَا.

٤١- وَإِنّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

٤٢-وَإِنّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ وَإِنّ النّصْرَ لِلْمَظْلُومِ.

٤٣- وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

٤٤- وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ (**حرم**) جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ.

٤٥- وَإِنّ الْجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرَ مُضَارّ وَلَا آثِمٌ.

٤٦- وَإِنّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا.

٤٧- وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ.

٤٨- وَإِنّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا. (١٥)

٤٩- وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلّا مَنْ حَارَبَ فِي الدّينِ.

٥٠- عَلَى كُلّ أُنَاسٍ حِصّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ الّذِي قِبَلَهُم.

٥١- وَإِنّ يَهُودَ الْأَوْسِ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ . مَعَ الْبِرّ الْمَحْضِ؟ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ.

٥٢- وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلّا عَلَى نَفْسِهِ وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ.

٥٣- وَإِنّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ

٥٤- وَإِنّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ وَإِنّ اللّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرّ وَاتّقَى ، وَمُحَمّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم" .(١٦)

شملت الوثيقة النبوية او دستور المدينة جملةً من البنود القانونية والحقوقية لتنظيم جميع جوانب حياة الافراد في يثرب ، ضمت نصوصا تبين علاقة الراعي برعيته، والقاضي وآدابه لتحقيق المساواة والعدالة والامان والتعاون بين الناس بمختلف الطوائف والطبقات الاجتماعية وعدم المساس بعقائدها وأصولها ، كما فصل فيها مبدا الشورى بين الحاكم والمحكومين والراعي ورعيته، وتنظيم العلاقات بين مختلف مكونات مجتمع المدينة بكل فئاته، فردا وجماعة وحاكما وفق مبادى القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ، لضمان التكافل بين جميع افراد الامة في مختلف الميادين ، كما اشارت الوثيقة او دستور المدينة كماهو معروف عند الباحثين على مبادى واسس سليمة لبناء دولة اسلامية صحيحة تعيش تحت ظلالها جميع الملل والطوائف المختلفة ومن هذه المبادى نصرة المظلوم وحماية الجار ومساعدة المدين ورعاية الحقوق الخاصة والعامة وغيرها من الامور الانسانية الاخرى ، مما يدلنا الى رفض حمية الجاهلية، فالصحيفة او الوثيقة تم بموجبها تنظيم العلاقات في هذا المجتمع الإسلامي الجديد سواء بين مكوناته او من انضوى تحت لواءه وخاصة من كان بالمدينة من اليهود، وضعت الصحيفة المبادئ الاساسية لهذا المجتمع الجديد باعتبار المسلمين امة واحدة بعضهم اولياء بعض يتعاونون بينهم ويتحابون ويتراحمون ، تاركين النعرات القبلية وحمية الجاهلية لا فرق بين اسود وابيض ولا بين عربي وعجمي الا بالتقوى، كما بينت (الصحيفة) حقيقة الحرية لكل شخص بعيدا عن التعصب حتى ولو مع اليهود الذين اعطت لهم حقوقهم كاملة كحق الجوار ما التزموا ببنود الصحيفة.(١٧)

نتوصل الى بعضا من الاستنتاجات بان الصحيفة اكدت على ان الناس امة واحدة وتعني كلمة الامة للمساواة بين جميع الاطراف في المواطنة فالمؤمنون والمسلمون امة واحدة واليهود امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، " وأنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة " مما يعني ان الوثيقة وطن كامل لكل الاديان حتى وان كانوا اليهود فهم امنون ، كما اكدت ان لا حصانة لظالم حتى ولو كان معتصما بمدينة يثرب ، و رفضت الصحيفة الاستبداد والطغيان، وجعلت من كتاب الله تعالى وسنة رسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الفيصل عند كل خلاف وتنازع بين كل فئات هذا المجتمع، وبنودا للدفاع عن المدينة اذا هاجم العدو فئة من فئاتها ،

ومن ثم وافقت كل فئات المجتمع على نصوص هذا الدستور الجديد بما فيهم يهود المدينة بمختلف قبائلهم.[١٨]

ونستنتج من خلال ما ذكرنه عن اهمية معاهدة المدينة من خلال بعض الاستنتاجات منها: ان هجرة النبي (صلى الله عليه و اله وسلم) الى مدينة يثرب تعد متغيرا هاما على صعيد نشر الدعوة الاسلامية لانها كانت محصورة في مكة ، فاعطى هذا المتغير فرصة كبيرة للنبي الاكرم للتحرك بحرية اكبر لتنفيذ مشروعه المهم تاسيس مجتمع ودولة اسلامية ، ولابد من وجود دستور ووثيقة تبين طبيعة العلاقة بين الاطراف الموجودة التي ساهمت واثرت في طبيعة الحياة في المدينة كالعلاقة مابين المسلمين واليهود كما عبرت عن احترام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لليهود وديانتهم ولكن اشترطت عليهم عدم ممارسة الغدر والخيانة والتامر ونصرة اعداء المسلمين لان ذلك سيعرضهم للهلاك بل ان بعض البنود ارتقت باليهود واعطتهم امتيازات هامه.[١٩]

٢-قبل الحديث عن بنود الوثيقة او دستور المدينة علينا التطرق الى الاسباب التي دفعت الرسول الاكرم الى اصدارها وكيفية العلاقة بين الفئات المختلفة وهي كالاتي:

كان اهم عمل قام به الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) بعد وصوله الى يثرب ايواء المهاجرين الجدد الذين قدموا الى المدينة واتخاذ التدابير اللازمة لتامين الحاجات المعيشية الضرورية لهم ولعوائلهم لذا قام ببناء علاقات التعاون الاجتماعية والاقتصادية بين مسلمي المدينة (الانصار) ومسلمي مكة (المهاجرين) ، واطلق اسم (المؤاخاة) واشترك في عملية المؤاخاة هذه (٤٥ أنصاريا) و (٤٥ مهاجرا) فيصبح العدد (٩٠) شخصا ، فظهرت ثلاثة فئات اجتماعية في المدينة، وهم المسلمون واليهود والعرب المشركون ، فالمسلمون يتالفون من المهاجرين المكّيّين ومن اهل المدينة من الانصار من قبيلتَي الاوس والخزرج وهذه التركيبة الاجتماعية شيئا غريبا في شبه الجزيرة العربية وغير مالوف في حياة العرب وتقاليدهم لات التقاليد القبلية العربية قائمة على رابطة الدم والقرابة، بينما اصبح مجتمع المدينة متكون من اناس و اديان و عناصر واماكن جغرافية مختلفة مكونين مجتمعا اجتماعيا مختلفا ، وهذا ما ذكرته الوثيقة اتي اشارت الى جماعة سياسية قائمة على اساس الدين وهي امة واحدة دون سائر

الناس، كما بلغ عدد سكانها حوالي (١٠ آلاف) شخص، منهم ١٥٠٠ مسلم و ٤٠٠٠ يهودي و ٤٥٠٠ من المشركين العرب ، فقام (صلى الله عليه وسلم) بوضع الحدود للمدينة المنورة حسب المادة (٣٩) من الوثيقة حدد المنطقة المحصورة الواقعة في داخل وادي يثرب (الجوف) تكون منطقة الحرم، مما يعني ان الاسلام تاسس على مبدا الحرية الكاملة فى مجال العقيدة وعدم اكراه اي انسان فى الدخول فى الدين فكانت حياة النبي الاكرم فى المدينة عبارة عن انشاء مجتمع اجتماعي جماعي متماسك مبني على اسس سليمة كالحرية كالجماعات التي تملك حكما ذاتيا ان تعيش معا في مجتمع عام،او أن تضع نظاما سياسيا ييسر للجميع العيش معا بسلام وامان .[٢٠]

بعد ذلك قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعدة مشاورات مع رؤساء قبائل المسلمين ضم الانصار ونقباء المهاجرين و زعماء وممثلي الجماعات الغير المسلمة ، عقد الاجتماع الاول مع المسلمين في بيت (انس بن مالك) ثم مع زعماء المسلمين واليهود في بيت (بنت الحارث) حيث تم التفاهم على المبادئ الاساسية لوضع الدستور العام (لدولة المدينة الجديدة)، في جو من الحوار البناء **لتحديد النقاط المهمة في شكل العلاقات الاجتماعية والقانونية لكل الاطراف والفئات وتثبيتها في مواد قانونية مكتوبة وجاءت كالاتي :**

ا- عند البدء بتنفيذ بناء دولة جديدة لها دستورها الخاص لابد من تواجد الجماعات المختلفة دينيا وسياسيا وفلسفيا بحضور جميع الاطراف الاجتماعية او مَن يمثّلونها في جوّ من الحرية والحوار والمباحثة بين الجميع.

ب- اختيار مبدا المشاركة في ظل حكم سياسي عادل يتم قبول التنوع والاختلاف، كوثيقة المدينة تذكر اسماء القبائل المسلمة واسماء القبائل اليهودية قبيلة تلو قبيلة والى المشركين في مادة اخرى، فقامت الوثيقة بتامين وضمان الحقوق والحريات لهم وممارسة حياتهم اليومية بشكل طبيعي ،هذه المجموعات والطوائف المختلفة ستبقى كما هي وكما ترغب بحرّية من خلال المقاييس القانونية ، كما اتفق جميع الاطراف على رفع المشاكل التي لا يستطيعون حلها الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لانه محايدا اتى من خارج المدينة، استنادا الى الاية القرانية "فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ" [٢١].

مما يلحظ من النص القراني السماح للرسول الاكرم واعطاع الصلاحية بالنظر في دعاوى القوم وحلها ان ارادو ذلك.

ونلحظ ان المادة (٢٣) تشير الى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحاكم المطلق في الامور الدينية للمسلمين، ويستشير الاخرين الذين لهم خبرة في المسائل الادارية ، وختاما تعد الوثيقة النبوية التاريخية التي وضعها رسول الله اساسا لتنظيم العلاقات بين مكونات المدينة بعد الهجرة اليها واقامة مجتمع اسلامي يضم جميع الفئات تحت ظله، وتشمل المهاجرين والانصار دعامتي جماعة المسلمين في المدينة، واليهود، ومثلت هذه الوثيقة عهدا وميثاقا قانونيا وحقوقيا يحدد العلاقة الاجتماعية بين مختلف مكونات المجتمع االمدني وضوابطها وحدودها بتفصيل يوضح الحقوق والالتزامات المترتبة لكل عنصر من عناصر المدينة.[٢٢]

الهوامش

١-كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ، ج٨، ص٥٠؛ اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الاسلامي، ط١، مطبعة باقري، قم،١٢٤٠هـ، ج٢،ص٧٩.

٢-شلبي، احمد ، المجتمع الاسلامي ، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦، ص٥٥-٥٧؛ ارنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧٠، ص٥٦-٥٧.

٣- على ربعتهم: اي امرهم وشانهم الذي كانوا عليه

٤-ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني ،(ت ١٥١هـ) ، سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي، تح: سهيل زكار ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨، ص٢٣-٢٥.

٥-المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

٦-عقل: الدية التي تجب على عصبة القاتل، والمراد دية الخطا.

٧-دسيعة ظلم: اي دفعا بظلم

٨-غازية: اي الجماعة التي تخرج للغزو.

٩-يبيء: من البواء، اي المساواة.

١٠-اعتبط مومنا: اي قتله بلا جناية جناها، ولا ذنب يوجب قتله.

١١-قود: القصاص.

١٢-المحدث: مرتكب الحدث، الجنابة او الذنب.

١٣-اوتغه: اهلكه، ووتغ وتغا ، هلك.

١٤-ابن هشام، ابومحمد عبد الملك المعاقري، السيرة النبوية، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة،١٩٧٢، ج٢، ص٣٦٨-٣٧٠.

١٥-ابن اسحاق ، السيرة، ص١٢٣.

١٦-ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢، ص٣٧٠.

١٧- ينظر: ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري،(٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت،١٩٦٦،ج٣، ص١٨١ ؛ ابن كثير، الحافظ بن كثير،(ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، مكتبة النصر، بيروت،١٩٦٦،ج٣، ص٢٥٧.

١٨- للمزيد من التفاصيل ينظر :ابن هشام، السيرة النبوية، ص٤٦؛ شلبي ، المجتمع الاسلامي، ص٥٧.

١٩-للمزيد من التفاصيل ينظر: البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، شرح وتعليق: مصطفى ديب، ط١، دار ابن كثير، بيروت،١٤٠٧هـ ، ج ٤ ، الحديث رقم ٤٧٣٩ ، ص ٢٠٣؛

٢٠- النسائي ،احمد بن شعيب ، سنن النسائي الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، موسسة الرسالة، (د-م) ، ٢٠٠١، ج٧، ص٤١؛ الطبراني، ابو القاسم، سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي ،(ت٣٦٠هـ) الاحاديث الطوال ، تح: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٩٨٣، ص١٢٣.

٢١-سورة المائدة، اية ٤٢.

٢٢- ينظر : الواقدي، محمد بن عمر ابو عبد الله ، مغازي الواقدي، تح: مارسدن جونس، ط١، دار عالم الكتب، بيروت، (د-ت) ،ص٢٢-٢٣؛ الطبري, محمد بن جرير،(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك, تح: ابراهيم ابو الفضل، دارصادر، بيروت، ١٩٧٠ ،ج٢،ص٢١-٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

١-القران الكريم.

٢- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري،(٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت،١٩٦٦.

٣-البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، شرح وتعليق: مصطفى ديب، ط١، دار ابن كثير، بيروت،١٤٠٧هـ .

٤-ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني ،(ت ١٥١هـ) ، سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي، تح: سهيل زكار ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨.

٥-ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠١.

٦- الطبراني، ابو القاسم، سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي ،(ت٣٦٠هـ) الاحاديث الطوال ، تح: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة الزهراء ، الموصل، ١٩٨٣.

٧-الطبري, محمد بن جرير،(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك, تح: ابراهيم ابو الفضل، دارصادر، بيروت، ١٩٧٠.

٨-ابن كثير، الحافظ بن كثير،(ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، مكتبة النصر، بيروت،١٩٦٦.

٩-المرعشي، شهاب الدين الحسيني ،(ت١٤١١هـ)، شجرات ال الرسول، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ،(د-ت).

١٠-النسائي ،احمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، موسسة الرسالة، (د-م) ، ٢٠٠١.

١١-ابن هشام، ابومحمد عبد الملك المعاقري، السيرة النبوية، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة،١٩٧٢.

١٢- الواقدي، محمد بن عمر ابو عبد الله ، مغازي الواقدي، تح: مارسدن جونس، ط١، دار عالم الكتب، بيروت، (د-ت).

قائمة المراجع

١-ابراهيم، مصطفى، تكملة المعاجم ، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د-ت).

٢- ارنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧٠.

٣-شلبي، احمد ، المجتمع الاسلامي ، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦.

٤-كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٥-اليوسفي،محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، مطبعة باقري، قم،١٢٤٠هـ.